

خطبة الجمعة، 09.09.2016

الْحَجُّ وَحِكْمُهُ

{ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }
(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ)

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ !

يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ : { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ . وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا }

وَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا)

إِخْوَتِي الْكِرَامَ !

إِنَّ الْحَجَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَى مَنْ اسْتَوْفَى شُرُوطَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ أَمَمِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ. وَ إِنَّ لِعِبَادَةِ الْحَجِّ أَثَارًا جَلِيلَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، سِوَاءٍ مِنْ حَيْثُ حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةُ أَوْ الْآخِرَوِيَّةُ. وَ إِنَّ لَهُ حِكْمًا خَاصَّةً بِهَا، وَ فَوَائِدَ أُخْلَافِيَّةً وَ اجْتِمَاعِيَّةً وَ اِقْتِسَادِيَّةً وَ نَفْسِيَّةً. وَ لَا يَدْرِكُ كَمْ يُؤَثِّرُ الْحَجُّ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا مَنْ أَتَى بِهِ بِحَقِّهِ.

وَ الْحَجُّ، إِذَا أَتَى بِهِ بِشَكْلِ وَاعٍ وَ مَرَاعٍ لِحُكْمِ وَجُوبِهَا، كَانَ بِمَثَابَةِ مُؤْتَمَرٍ سَنَوِيٍّ لِلْمُسْلِمِينَ، بَلْ كَانَ مُؤْتَمَرًا عَالَمِيًّا يَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ أُنْحَاءِ الْأَرْضِ. لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ، بِوَسِيلَةِ الْحَجِّ يَتَعَارَفُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَ يَتَعَرَّفُونَ عَلَى أَوْضَاعِ بَعْضِهِمْ الْبَعْضِ. لِذَا، يَقُومُ الْمُسْلِمُونَ الْوَافِدُونَ مِنْ مُخْتَلَفِ بِقَاعِ الْأَرْضِ وَ الْمُجْتَمِعُونَ فِي عَرَافَاتِ، بِالنَّشَاطِ وَالْمُتَشَاوِرِ مَعَ بَعْضِهِمْ عَنِ تَنْمِيَةِ وَ عِيِ الْأُمَّةِ وَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ فِي هَذَا الْخُصُوصِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامَ !

إِنَّ الْحَجَّ يَقْوِي أَوْصَالَ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَ تُدْرِبُهُمْ فِعْلًا عَلَى الْمَسَاوَاةِ وَ الْأُخُوَّةِ. وَ تَزْرَعُ فِي قُلُوبِهِمْ حَقِيقَةَ أَنْ لَا تَفَاضِلَ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَ غَيْرِهِ وَ لَا بَيْنَ أَبْيَضٍ وَ أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى .

وَ الْحَاجُّ الَّذِي يَلْبَسُ الْإِحْرَامَ، يَخْلَعُ كُلَّ مَا عَرَفَهُ مِيزَانًا لِلْقِيَمَةِ، مِنْ ثَرْوَةٍ وَ مَقَامٍ وَ رُتْبَةٍ وَ مَا إِلَى ذَلِكَ. وَ بِهَذَا يَقْبَلُ تَجْرُدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُنْيَوِيٍّ. وَ بِأَدَانِهِ لِلْحَجِّ بِهَذَا الشُّعُورِ يَنَالُ رَحْمَاتٍ وَ بَرَكَاتٍ كَثِيرَةً.

وَ الْحَجُّ يَهَيِّئُ الْمَنَاحَ لِلْمُسْلِمِينَ لِيَلْتَقُوا وَ لِيَتَعَارَفُوا عَلَى بَعْضِهِمْ وَ لِيَلْتَمِتُوا مِنْ جَمِيعِ الْأَوْجِهِ وَ يَتَعَاوَنُوا مَعَ بَعْضِهِمْ، بِعَضِّ النَّظَرِ عَنْ عِرْقِهِمْ وَ لَوْنِهِمْ وَ لِسَانِهِمْ وَ قَبِيلَتِهِمْ.

إِنَّ الْحَجَّ نَفْطَهُ تَحَوَّلَ مُهَمٌّ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ. وَ هُوَ يُحَدِّثُ تَغْيِيرَاتٍ مُهَمَّةً فِي مَعِيشَةٍ وَ أَفْكَارٍ مِنْ تَهَيُّوُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ وَ أَدْوَةٍ كَمَا يَنْبَغِي. وَ الْحَجُّ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، يَقْضِي عَلَى الْأَفْكَارِ السَّلْبِيَّةِ كَالْعُنْصُرِيَّةِ الَّتِي تَزْرَعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ النَّاسِ.

وَ الْحَجُّ يَثْرِكُ فِي الْإِنْسَانِ ذِكْرِيَّاتٍ عَمِيقَةً لَا تَنْمُحِي طُولَ حَيَاتِهِ. وَ تَكُونُ هَذِهِ الذِّكْرِيَّاتُ ذَاتَ تَأْثِيرٍ فِي إِدَامَتِهِ لِحَيَاتِهِ بَعْدَ الْحَجِّ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ.

إِنَّ الْحَجَّ تَدْرِبُ لِلْإِرَادَةِ . بَلْ هُوَ قِمَّةٌ فِي تَدْرِبِ الْإِرَادَةِ، يُلْقِنُ صَاحِبَهُ اللَّطْفَ فِي مَعَامَلَتِهِ مَعَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ وَ النَّاسِ وَ الْحَيَوَانَاتِ وَ مَعَ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ.

وَ إِنَّ الْحَجَّ تَدْرِبُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَ التَّقْوَى. فَإِنَّ الْحَجَّ الَّذِي يُحَقِّقُ حَوْلَ الْكُعْبَةِ مِنْ جَانِبِ الْأُمَّةِ جَمْعَاءَ، مَظْهَرٌ عَظِيمٌ لِلاتِّحَادِ الْإِيمَانِيِّ فِي أَسْمَى مُسْتَوَاتِهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامَ !

إِنَّ كُلَّ سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنَ التَّرْوُدِ لَهُ بِزَادٍ. وَ مَا هِيَ هَذَا الزَّادُ يَخْتَلِفُ طَبَعًا حَسَبَ نَوْعِ السَّفَرِ. فَالسَّفَرُ الدُّنْيَوِيُّ، زَادُهُ الطَّعَامُ وَ الشَّرَابُ وَ اللَّبَاسُ. أَمَّا السَّفَرُ الْأُخْرَوِيُّ، فَرَادُهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَ الْإِعْرَاضُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، أَعْنِي التَّقْوَى.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ : { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } وَ التَّقْوَى هُوَ تَمَسُّكُ الْإِنْسَانِ بِمَا يَقِيهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَ عَذَابِهِ وَ مِنَ الْأَحْوَالِ الْبَغِيضَةِ وَ الْمُؤَلِمَةِ. وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ الْإِجْتِنَابِ عَنْ نَوَاهِيهِ، وَ النَّحْلِيِّ بِخَصَائِصِ الْمُتَّقِينَ كَمَا هِيَ وَارِدَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَ السُّنَّةِ.

فِي سَفَرِ الْحَجِّ، لَا بُدَّ أَنْ يُشْبِعَ الْإِنْسَانُ رُوحَهُ بِالتَّقْوَى وَ يُجَنَّبَ بِهِ نَفْسَهُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ. فَعِنْدَمَا يَسْتُرُّ بَدَنَهُ بِالْإِحْرَامِ، لَا بُدَّ أَنْ يُلْبَسَ رُوحَهُ خَيْرَ اللَّبَاسِ، لِلبَاسِ التَّقْوَى.